موجز للأحداث الرئيسية الخاصة
ببني إسرائيل بالأرض المقدسة بفلسطين

المقدمة

ضرورة الاعتبار بتاريخ بني إسرائيل :

أضع هذا السرد للأحداث والشخصيات الرئيسة بالأرض المباركة بفلسطين ضمن فترة الاستخلاف لبني إسرائيل التي امتدت من إغراق فرعون إلى طرد بني إسرائيل من الأرض المباركة وتشتيتهم بين الأمم (من القرن الثالث عشر قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي)، أضعه بين يدي القارئ لما فيه من العظات الكثيرة التي لا تكاد أن تُحصى، ولما يُمثله بنو إسرائيل وتاريخهم لنا من تجربة أمةٍ فشلت في القيام بالواجبات التي أُنيطت بها، تلك الواجبات والتكاليف الربانية التي تَحوّل أمر القيام بها ورعايتها من بني إسرائيل إلى عاتق أمتنا الإسلامية، من بعد الإعلان النهائي عن فشل بني إسرائيل ولعنهم ثم طردهم من الأرض المباركة.. لعل أمتنا المعاصرة بالذات أن تكون أصدق وأقدر – وهي كذلك قطعاً- على القيام بأماناتها، ولعلها أن تأخذ العبر والدروس من فشل بني إسرائيل في القيام بمهام الاستخلاف ووراثة دين الله على الأرض.. وليس هناك أبلغ في بيان ضرورة الاستفادة من تجربة بني إسرائيل هذه من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديث عن أهل الكتاب بلا حرج .

إنّ دراسة تاريخ الشعب الذي كان يوما هو الشعب المصطفى المُرتَجى لحمل رسالة ربّ العالمين، ليكون شهيداً على الأمم، كما شهدت له بذلك التوراة والقرآن، إنّ دراسة تاريخ هذا الشعب بمراحل صعوده وهبوطه، وعزته وذلته، ودراسة إضاعته لسلطانه ومملكته، وهبوطه ليخضع لحكم ما حوله من الأمم،

وليعاني طويلاً تحت ردح الاحتلال الأجنبي، ودراسة تبادل السيطرة الشرقية والغربية عليه، ومواقفه من حركات التغريب (تقليد الغرب اليوناني ثم الروماني) وحركات الردة التي عمّت أبناءه، وحركات التطرف التي تولى أمرها جماعات من أبنائه ضمن ردود أفعالهم تجاه الاحتلال والإذلال الأجنبي، وبالذات الغربي تحت الحكم اليوناني ثم الروماني، ودراسة نتائج آثار كل تلك الحركات على مستقبله الذي انتهى كما هو معلوم باللعن والغضب الإلهي، والعذاب الأليم بالإبادة الجماعية والتشريد ثم الإذلال بين الأمم، ودراسة ما يرويه أهل الكتاب عن مواقف الأنبياء والصالحين الذين عاصروا عصور الانحطاط والهزيمة والتطرف.. وقد كانت عصورا طويلة امتدت عبر مئات عديدة من السنين.. ودراسة كيف جاءَت مواقف هؤلاء الصالحين والأنبياء تجاه ظروف قومهم تلك، وتجاه الفوضى العارمة من فوضى التطلع إلى الاستقلال إلى فوضى الانصهار ضمن الثقافة الغربية الغازية، إنّ دراسة ذلك كله لممّا يشكل رصيدا ضخما لأمتنا المصطفاة من بعد اندحار ذلك الشعب.. ندرسه ونأخذ منه عِبرَه، ولكن بحذر.. نعلم أنّ الظروف التي تمر بها أمتنا اليوم رغم شدة شبهها بتلك التي مرّت ببني إسرائيل – وهم في ظروف مشابهة من قبل– نعلم أنها تظل مختلفة لاختلاف الأمتين، فقد كان بنو إسرائيل حينها موعودين على ألسنة أنبيائهم بالعذاب، ونحن مازالت لنا بشرى بنصر ننتظر يوماً تحققه.

أوَ ليس في ظهور الأنبياء والأبرار الطاهرين ضمن مجتمعاتهم اليهودية التي ادّعت الإيمان، وهي خاضعة لأمم الكفر الوثنية عبرة وأسوة، أو لم يكن في ظهور هؤلاء الصالحين في مجتمعاتهم تلك عبرة وأسوة للمؤمنين والمصلحين من أمتنا من بعدهم، خاصة وأنّ أمتنا اليوم تمرُّ بظروف مشابهة من الخضوع لهيمنة أمم كافرة؟ أوَ لم يكن في قتلاهم الذين كان من ضمنهم أنبياء وصديقون سلوى وعزاء لما يلاقيه المؤمنون من بعدهم من قتل وتشريد وعناء؟.. هل انهزم هؤلاء الصالحون حين لقوا أحتافهم (وتكاد أن تكون

أحتافهم في كل مرة قد تمت على أيدي أبناء جلدتهم الخاضعين للمستعمرين الشرقيين من بابليين وفارسيين أو الغربيين من يونان وروم) أم كانوا في أنفسهم من المنتصرين؟ ألم يذكر ربنا عزوجل أنّه إذا أراد إهلاك قرية أمّر عليها مترفيها ففسدوا فيها فحقّ عليها العذاب.. فهل من حقّ المصلحين الاعتراض، والأحداث تجري بسنن الله تعالى؟ ألم يكن في رضا الأنبياء والمصلحين وتسليمهم التام لحكم الله بالانتقام من أقوامهم من بني إسرائيل في عصور مختلفة.. ألم يكن في تسليمهم لأمر الله هذا أسوة لمن بعدهم ليسلّموا كذلك لحكم الله عليهم بفقدان النصر المادي على المفسدين من أقوامهم أو من الأمم الكافرة من حولهم؟ وقد أُبلِغَ الأنبياءُ (كما هو واضح بالعهد القديم على تحريفه) في مراحل مختلفة بالعذاب الشديد المتكرر على معاصريهم من قومهم من بني إسرائيل فاستسلموا لأمر الله ورضوا به.. ولم يملكوا إلا السعي للإصلاح ودعوة أقوامهم للتوبة والإنابة، وإن لم يكن لهم وعد من الله عزوجل بالنصر على الأعداء والتمكين بالدنيا.. أوَ ليس في أمتنا أحيانا بل كثيرا من الأحيان من مظاهر التنكّر للدين ما لا تستحق به كرامة النصر من الله؟ أولَم يكن في هزائمها وهي تُحكم بالمفسدين منها تذكيرٌ لها لعلها تراجع دينها ؟ .. الذين عايشوا هزيمة عام ١٩٦٧ م يعلمون ذلك ! ويدركون أنها كانت هزيمةَ الذين ألغوا الشريعة واستهزأوا بالدين وأنّها كانت خيراً للمؤمنين!.. ثُمّ ما كانت أولويات الأنبياء والمصلحين وهم يقومون بأدوارهم؟ وإلى مَن اتجهوا بدعوتهم؟ وعلى ماذا ركّزوا؟ وما كانت أطروحاتهم لإنقاذ أقوامهم؟ بل لإنقاذ أنفسهم بأداء الأمانة التي كلفهم الله بها؟

وإلى أي مدى يجب علينا الصبر، والتحلي بالواقعية في تعاملنا مع الأمم غير المسلمة المسيطرة هذا العصر على مقدراتنا ومقدرات غيرنا؟ وإلى أي مدى يمكن أن نعتبر ما يُبذل من جهود لإيقاظ هذه الأمة وإعادة بناء شعوبها بتزويدها بما تحتاجه من أسباب القوة والتفوق العلمي والمدني.. إلى أي مدى

يمكن أن نعتبر هذه الجهود أعمالا جبانة؟ وهروبا من فريضة الجهاد كما نسمع من البعض أحيانا؟ وإلى أي مدى يلزمنا الأخذ بالأسباب والحسابات المادية عند اتخاذ ردود الفعل تجاه المعتدين؟ أم هل هناك مجال في بعض الأحيان للصبر والاحتساب، كما صبر الأنبياء تحت حكم الوثنيين، وكما صبر من بعدهم رسول الله عليه الصلاة والسلام بمكة؟ وهل من الحكمة ما يجري من قِبَل البعض أحياناً من القفز فوق قضية الأخذ بأسباب المادة والإعداد إلى المسارعة لقطف ثمار لم تبرز حتى براعمها؟ وإلى أي مدى يجب الصبر والمصابرة والاحتساب على من اختاروا المواجهة لمن اعتدى عليهم واضطهدهم في دينهم بل وفي وجودهم فقاموا بالجهاد ضد الباغين عليهم؟ وهل يحق لهم استكثار جهادهم على الله والإسلام؟ أو استبطاء نصر الله ووعده؟ وهل يرتدوا أو ينتحروا إن لم يُرزقوا نصر الدنيا؟ أولَم تكن دروب أمثالهم طويلة، ومضت من بعدهم أجيال وأجيال حتى تكللت مساعيهم بالفرج وبلوغ الأهداف؟

كل هذه أمثلة من أسئلة كثيرة تتردد بين المسلمين هذا الزمان، سيجد القارئ إن شاء الله بهذا البحث عرضاً لتجارب مرّت على بني إسرائيل أرجو أن تُعين – ولو جزئياً – في الردّ على كثير من هذه الأسئلة.

هذا وقد يكون من المناسب هنا الإشارة إلى أمثلة محدودة من الأحاديث الكثيرة التي تُحذِّر هذه الأمة من إعادة أخطاء بني إسرائيل، متضمنة وجوب أخذ العبرة والعظة مما وقع من اليهود ومما وقع عليهم من أحداث..

روى عـــن عبـــد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : " **بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار** " والحديث من مرويات صحيح البخاري، وروي كذلك مثله بصحيح ابن حبان وسنن أبي داود وسنن الترمذي والسنن الكبرى وسنن الدارمي ومسند الشافعي ومسند الإمام أحمد ومسند الشاميين ومصنف عبدالرزاق ومصنف ابن أبي شيبة وغيرها من كتب الحديث.

وعن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله صلى الله عليه وآلـــه وسلم قال : " **لتتبعـــن سنـــن مـــن كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لسلكتموه ، قالوا يا رسول الله : مَنْ ؟ اليهود والنصارى؟ قال : فمَن إذا** ؟ "عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: " **لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع وباعا بباع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**".

ونقل المروزي رحمه الله في كتابه السنة (الجزء الأول) عن عبد الله بن مسعود أنه قال: " أنتم أشبه الناس ببني إسرائيل ، والله لا تدعون شيئا عملوه إلا عملتموه ، ولا كان فيهم شيء إلا سيكون فيكم مثله فقال : رجل : أيكون فينا مثل قوم لوط ، فقال : نعم ممن أسلم وعرف نسبه" .. وأنّ عبد الله قال: " إن أشبه الناس سمتا وهيئة ببني إسرائيل أنتم تتبعون آثارهم حذو القذة بالقذة لا يكون فيهم شيء إلا كان فيكم مثله ".. ونقل المروزي كذلك عن همام بن الحارث قال: كنا عند حذيفة فذكروا " **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**"، فقال رجل من القوم إنما هذا في بني إسرائيل فقال حذيفة : نعم الأخوة لكم بنو إسرائيل ، إن كان لكم الحلو ولهم المر ، كلا والذي نفسي بيده حتى تحذي السنة بالسنة حذو القذة بالقذة".

وجاء في شعب الإيمان ما روي عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " **إن أول ما وقع النقص في بني اسرائيل كان الرجل يرى أخاه على الذنب فينهاه ثم لا يمنعه منه من الغد أن يكون خليطه وشريبه، فضرب الله بقلوب بعضهم على بعض وأنزل فيهم القرآن " لُعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم** " إلى قوله : "**كثير منهم فاسقون**"، قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متكئا فجلس قال: " **كلا والذي نفسي بيده حتى تأخذوا على يدي الظالم وتأطروه على الحق أطراً**".

وجاء كذلك في شعب الإيمان للبيهقي رحمه الله عن أبي عبيدة عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **هل تدرون فيما سخط الله على بني إسرائيل قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : إن الرجل كان يرى الرجل منهم على معصية فينهاه بعد النهي ثم يلقاه بعد فيصافحه ويواكله ويشاربه كأنه لم يره على معصيته حتى كثر ذلك فيهم ، فلما رأى الله عز وجل ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض ثم لعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدي الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعن من قبلكم**" .. تهديدٌ صريح بعقاب ولعن مماثل لما وقع على بني إسرائيل عند تكرار أخطائهم .

وجاء في كتاب الروح لابن القيم رحمه الله تعالى بالجزء الأول عن أبي سعيد قال :" **خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد العصر فقال في خطبتة ألا إن الدنيا خضرة حلوة ، وإن الله عز وجل مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، فإن أول فتنة كانت في بني إسرائيل من قبل النساء حتى إن المرأة القصيرة كانت تتخذ الخفين من الخشب فتحاذي المرأة الطويلة ، وحتى إن المرأة كانت تحشو خاتمها من أطيب المسك فإذا مرت بنادي القوم حركت خاتمها فإذا وجد ريحها سألوا عنها**"..

وعن أبي سعيد الخدري من رواية البخاري وابن حبان في صحيحيهما رحمهما الله تعالى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: " **ثم إن الدنيا خضرة حلوة وإنّ الله سيخلفكم فيها لينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإنّ أول فتنة بني إسرائيل كانت النساء**".

وعن عمارة بن الربيع بن عميلة أنّ عبد الله حدثنا ما سمعنا حديثا هو أحسن منه إلا كتاب الله عز وجل ،ورواية عن النبي صلى الله عليه وسلم: قال "**إنّ بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد فقست قلوبهم اخترعوا كتابا من عند أنفسهم**

استهوته قلوبهم واستحلته ألسنتهم ، وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون" شعب الإيمان الجزء السادس.. ولعل في هذا إشارة إلى التلمود الذي يقدسه اليهود وهو من صنع أحبارهم.

عن سنان بن أبي سنان أنه سمع أبا واقد الليثي يقول : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حديثو عهد بكفر ، وكانوا أسلموا يوم الفتح ، قال فمررنا بشجرة فقلنا : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، وكان للكفار سدرة يعكفون حولها ويعلقون بها أسلحتهم يدعونها ذات أنواط فلما قلنا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم قال: " **الله أكبر، وقلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى ، اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، قال إنكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم**" رواه ابن عيينة ومالك أيضا، وروى مثله ابن حبان في صحيحه، وبمسند الإمام أحمد وأبي يعلي والترمذي والمعجم الكبير وغيرها.

وجاء تعليق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على وساطة أسامة بن زيد لإعفاء المرأة المخزومية من إقامة حدّ السرقة مشيراً إلى آثام بني إسرائيل في تمييز أشرافهم حتى تتجنب ذلك هذه الأمة، فروى البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه أنه عليه الصلاة والسلام قال: "**إن بني إسرائيل كان إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه، لو كانت فاطمة لقطعت يدها**".

وعن ابن شهاب أن نملة بن أبي نملة الأنصاري حدثه أن أبا نملة أخبره أنه بينما هو جالس مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء رجل من اليهود فقال : تكلم هذه الجنازة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله أعلم، فقال اليهودي: أنا أشهد إنها تتكلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وملائكته ورسله ، فإن كان حقا لم تكذبوهم وإن كان باطلا لم تصدقوهم، وقال : قاتل الله اليهود لقد أوتوا علما**" صحيح ابن حبان الجزء الرابع عشر.

فهاهنا في هذا البحث حديث عن بني إسرائيل ممّا سطروه في كتبهم المقدسة أو في تلك المأثورة عن آبائهم لا نجزم بصحة ما ورد فيها.. وإن كان فيها الكثير ممّا يبدو صحيحا.. وهي بمجملها في الواقع أخبار حوادث ووقائع تعارف اليهود عليها عبر التاريخ وفي أحيانٍ كثيرة ذكرها كذلك غيرهم.. ولعلها في مجملها لا تدخل ضمن قضايا العقيدة والدين وأخبار الأنبياء الخاصة التي أُمرنا بالتوقف عنها تصديقا أو تكذيبا.. إنّ في الأخبار – التي سنستعرضُ- الكثيرَ ممّا يُدين اليهود ويُظهر آثامهم، ويتفق تماماً مع التصور الإسلامي لمعاصي بني إسرائيل التي تسببت في نزع الاستخلاف الربّاني عنهم وتوريثه للأمة الإسلامية، في بيانٍ وتحذير صريح صرخ به عليهم الأنبياءُ عبر القرون.. وما نبتغي من ذلك إلا دراسة تجربتهم باخفاقاتها ونجاحاتها لأخذ العِبَر التي لا تُحصى لأُمتنا، ولإدراك فضل الله علينا، ولإدراك سننَ الله تعالى التي لا تحيد، ولفهم عدونا بخلفيته الفكرية والعقائدية لعل ذلك يساهم في تصويب آرائنا، بل وربما ليكون لنا عوناً في دعوته لو كان في بعض أبنائه بقية من خير.

هذا ويجب ألا يُنظر في مثل هذا الطرح أنّه يحمل دعوة لعامة المسلمين للاطلاع على كتابات أهل الكتاب، فإنها كتابات محرَّفة وبها من الأكاذيب ما لا يعلمه إلا الله، كما أشارت هي نفسها إلى ذلك، وكما هو معلوم لكل من درسها، واطلع على تاريخها.. ويُخشى أن يحمل البعض ممن اطلع عليها فكرة أو معنى خاطئا فيُحاسب عليه.. وبراءة للذمّة مما قد يُفهم أنه دعوة للاطلاع على كتابات أهل الكتاب أذكر أنه يكفي أو يُغني مثل هذا الكتاب أو غيره عامةَ المسلمين عن الاطلاع على كتابات أهل الكتاب.. وهو في ذلك يستوي مع استشهادات كتابية كثيرة رويت عن أئمة وصحابة رضوان الله عليهم لم تحمل لمستمعيها الدعوة لقراءة كتابات أهل الكتاب، ولكنها دخلت ضمن الأمر بالحديث عن بني إسرائيل ولا حرج.

كثيرون آخرون من جانب آخر لا يُرضيهم هذا الطرح ولا التحليل.. يعتبرونه تفكيرا متخلفا عقيماً.. أو رجعياً من الماضي الذي يجب ألا يعود.. أو كما يقول ناقدو التوراة من الغربيين العلمانيين يعتبرونه تفكيرا توراتياً أو تثنوياً (نسبة إلى سفر التثنية).. وما هو في الواقع إلا محاولة متواضعة لدراسة التاريخ اليهودي من وجهة نظر دينية تؤمن بأن القوانين التي تحكم حياة الأفراد وتلك التي تحكم حياة الأمم إنما هي من وضع الخالق لهذا الكون الفسيح .. سنناً سنّها الله عزوجل، وأعلَمَ أنبياءَه طرفاً منها.. منها أنّ الأمم التي استخلفها الله عزوجلّ على الأرض لها آجال محدودة.. وأنّ الذين حُمّلوا أمانة حمل دين الله لأمم الأرض ثم خانوها سيقصر الله أعمار أممهم، ويعجل لهم ولأممهم العقوبة في الدنيا، ويسلمهم لأعدائهم يقتطعون أملاكهم ويسومونهم سوء العذاب.. وأنْ ليسَ لهم مخرج من بعد ذلك ولا طريق للارتقاء إلا بالعودة الصادقة الكاملة إلى الله والدخول الكامل في دينه وشريعته تطبيقاً ومعيشة.. وأنهم إن لم يتوبوا فسيُهيئ الله لدينه آخرين غيرهم.. وسيرى القارئ الكريم كيف أن التوراة وكتب الأنبياء رغم التحريف الهائل الذي أصابها إلا أنها لم تدع لليهود مجالا للتردد بأن نجاتهم وعزتهم كانت ستكون بتطبيقهم للشريعة ، وبأن ذلهم وهلاكهم كان في الخروج عن الدين واتباع الأمم الوثنية.. وبأنّ الله سيجعل مملكته ودينه في غيرهم.. وسيرى القارئ هاهنا ضمن التاريخ اليهودي أمواجا قليلة محدودة من الارتقاء الذي ترافق مع محاولات العودة والإنابة الى الله عز وجل.. وطوفانا لا يكاد ينقطع من السقوط والتردي في معصية الله ورسله.. رغم التأنيب الدائم والتذكير والتحذير والتهديد الذي لم ينقطع منذ بداية عهدهم بالدين.. بل ورغم وقوع العقوبات المتتالية.. فكان إصراراً على عدم السماع للأنبياء أو طاعتهم.. قال تعالى: "**ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم، ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا**

من فوقهم ومن تحت أرجلهم.." **المائدة ٦٥،٦٦**.. ولكنهم عموا وصمّوا مراراً وتكراراً حتى وقع عليهم العذاب الذي وُعدوا به.

إنّنا هنا ندرس التاريخ اليهودي هنا من مصادره الدينية.. من الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى.. مُدركين أنّ هذه المصادر قد احتوت على كثير من التحريفات والمبالغات.. وهي تحريفات ومبالغات بيّنة في كثير من الأحيان.. لكنّ الأحداث الرئيسية والعِبَر المستخلصة منها ظلّت بارزة وبيّنة رغم حرص الأجيال المتتالية من بني إسرائيل على تجميل صورة أمتهم وتثبيت اصطفائها الرباني.. وهي القضية التي يُمكن ببعض الجهد نفض غبار التحريف عنها والوصول فيها إلى الحقيقة، وذلك إلى حد ما كان موضوع كتابي عن البشارات بالإسلام.. إنّنا كمسلمين نؤمن بالاصطفاء الرباني لبني إسرائيل لقرون طويلة.. وتلك قضية لا يؤمن بها العلمانيون.. ونؤمن بأن العهد المغلظ بالطاعة والاتباع قد أُخذ عليهم، وبأنهم نقضوه وتمّ استبدالهم بأمة الإسلام التي حُمّلت الأمانة من جديد.. وكل تلك قضايا بيّنة من الكتاب المقدس رغم التحريف الذي أصابه.

إنّ القضية في محورها هي قضية الإيمان.. هل حقاً نؤمن بالله ورسوله! وبالتالي بدينه وشريعته.. فإن آمنا، فإنّ الطرح الذي نطرحه هنا لأخذ العبرة من أحداث التاريخ العبري مقبول ومطلوب.. خاصة بعد أن تُوّعدنا بعقاب مماثل لما وقع على بني لإسرائيل من اللعن والهوان والإذلال.. ولولا استغاثة رسول الله صلى الله عليه وسلم لربّه لأصابنا عذاب الاستباحة والاستئصال الشامل الذي أُصيبت به الأمم السابقة وأصيب به بنو إسرائيل على أيدي الروم فلم يدع منهم بالأرض المباركة أعداداً تُذكر (٢).. ومثل هذا العذاب لا يُرفع عن الأمة – بنص الأحاديث الصحيحة– إلا عند العودة للتمسك بهذا الدين.. قال تعالى: " **أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر**" القمر ٤٣،٤٤.. وإنّ مقتضى الإيمان إدراك أنّ إصلاح هذه الأمة يجب أن ينطلق من أسس تسعى لدعم

الالتزام بالدين والشريعة على كل المستويات (٣).. وأنّ في دعوات التحلل من هذا الدين ضياع الأمة وهلاكها.. وتلك هي رسالة هذه الرسالة..

وهذا الكتاب كما قد يعلم القارئ هو في الواقع تفصيل لجزء من الفصل الأول، فصل المقدمة في كتابي " تباشير التوراة والإنجيل بالإسلام ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم" توسعت به كما كنت قد أشرت إلى ذلك في مقدمة الطبعة الأولى منه.. وقد تركت الكتاب هاهنا على هيئته الأصلية كما كان ضمن جدول زمني لسرد الأحداث التي يتم التعليق عليها واستعراض العبر منها في الناحية اليسرى المقابلة.. راجيا أن يكون سرد الأحداث ضمن " جدول زمني" أيسر لتتبع هذه الأحداث وأمتع للقارئ وأشوق.. وأرجو ألا يحتار القارئ الكريم في كيفية قراءة الجدول.. فقد خصصت العمود الأيمن لسرد الأحداث إلا في مواضع محدودة في بداية الرسالة حين استعرضت به عددا من النصوص الكتابية..وخصصت العمود الأيسر للتفصيل والتعليق على الأحداث المذكورة بالخانة المقابلة من العمود الأيمن.. وعلى القارئ الإنتهاء من قراءة فقرة العمود الأيمن إلى نهايتها التي قد تكون في صفحة تالية قبل البدء بقراءة الجانب المقابل من العمود الأيسر.

وأختم هذه المقدمة بإثبات تقديري وشكري لزوجتي أم الحسين ولأخي الدكتور يحيى زيدان على مراجعتهما لهذا الكتاب قبل طبعه وتقديمهما لعدد من الملاحظات والتصحيحات المفيدة.. كما أرجو من الله عزوجل مغفرته على أي زلل ورد به.. فالكمال لله ربّ العالمين.. وما أردت القدح بأحد من المسلمين مُحدداً، وأعتذر عن ذلك إن فهم عني بأي موضع.. بل أردتُ تنبيه الأمة كاملة إلى ما نرتكبُ من زلات وأنّها وإن هانت في أعيننا إلا أنّ مثلَها في كثير من الأحيان تسبَّب في عذاب بني إسرائيل.. وعلينا أخذ العظة والعبرة خشية أن يُصيبنا ما أصابهم، فبذلك تُوعدنا.

المؤلف

نصرالله أبو طالب

هوامش المقدمـــــة

(١) بإمكان القارئ رؤية هذه الحقائق ساطعة بالاطلاع على فصول: مملكة الله القادمة، ووراثة الأرض المباركة، وظهور المختارين من كتابي " تباشير التوراة والإنجيل".

(٢) تنبأ أصحاب مخطوطات البحر الميت بطرد اليهود واستئصالهم من فلسطين، وسموا ذلك بعذاب الاستئصال، وقد سبقهم بذلك الزبور الذي ذكر صراحة طرد الأمة الملعونة عن فلسطين حتى لا يبقى بها أحد منها، وتوريث الأرض للأمة المباركة.. وقد فصّلت ذلك في كتابي عن البشارات بالرسول عليه الصلاة والسلام.. ومثل عذاب الاستئصال هذا الذي لم يبق للأمة أي كيان قد أُعفي منه المسلمون.. جاء في صحيح مسلم (وفي صحيح ابن حبان وسنن أبي داود والترمذي والبيهقي وبمسند الإمام أحمد وفي غيرها) عن ثوبان رضي الله عنه، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد ، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا".. ومن الجلي أنّ هذا قد تحقق بحذافيره عبر القرون.. وأن ما وقع على المسلمين من استباحات على أيدي أعدائهم كانت دائما في ظل تناحرهم.. وهي مع ذلك لا تصل إلى عذاب الاستئصال الشامل الذي يمحو وجود الأمة وكيانها كما وقع على بني إسرائيل ومَن قبلهم من الأمم.

(٣) أكدت هذا المعنى ــ وهو ضرورة الإنابة إلى الله حتى يتم رفع البلاء – كثيرٌ من الآيات القرآنية.. منها على سبيل المثال قوله تعالى: " **ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون**" الأعراف ٩٦.. ومن الأحاديث النبوية في هذا المعنى ما جاء في المعجم الكبير وفي غيره عن ابن عمر رضي الله عنه قال: " أتى علينا زمان وما يرى أحد منا أنه أحق بالدينار والدرهم من أخيه المسلم وأنا في زمان الدينار والدرهم أحب إلينا من أخينا المسلم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتركوا الجهاد في سبيل الله ، ولزموا أذناب البقر وتبايعوا بالعينة ، سلط الله عليهم بلاء لم يرفعه حتى يراجعوا دينهم "

الجـــدول الزمني للأحداث الرئيسية بالتاريخ اليهودي بفلسطين	
الأحداث الرئيسية	**ملاحظات وعبر** **(تُقرأ فقرة الملاحظات في هذا العمود بعد الانتهاء من قراءة فقرة الأحداث المقابلة إلى نهايتها)**
- هجرة إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه بـــ أور بالعراق في حوالي عام ٢١٠٠ ق.م ، بعد أن بلغ (أي إبراهيم) الخامسة والسبعين من عمره إلى الأرض المباركة بفلسطين (لعله استقر بالخليل المسماة بحبرون) (٢)	_ أُصطفي إبراهيم عليه السلام ليكون أباً لكل الأنبياء من بعده.. وطبقا لما جاء بالتوراة فقد وُعد بأن يرث أبناؤه الأرض المباركة، وبأن تتبارك أمم الأرض بنسله.. وبأنّ الله سيُكثر نسله حتى يكونوا كعدد نجوم السماء وحبات الرمل على الشاطئ (٣).
- هجرة إسرائيل (يعقوب) عليه السلام من الأرض المباركة إلى مصر بطلب من يوسف عليه السلام أيام القحط وأيام إدارته لمخازن مصر وشئونها.. تمّ ذلك قبل حوالي ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد. ≺	- قال تعالى: " **فلمّا دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين" يوسف:٩٩** - كان تعداد بني إسرائيل الذين انتقلوا مع يعقوب عليه السلام إلى مصر هو سبعة وثلاثون فردا فقط شاملة للأبناء الأحد عشر من غير يوسف عليه السلام مع زوجاتهم وأبنائهم، وتكاثروا بمصر حتى قيل إنهم بلغوا ستمائة ألف لمّا غادروا مصر مع موسى عليه السلام،

وقد تسمّي أبناء يعقوب عليه السلام بالأسباط، وقد كانوا من بعد غلطتهم مع يوسف رجالا صالحين، وشكلّ نسل كل واحد منهم قبيلة أو سبطا من أسباط بني إسرائيل، وهم – أي الأسباط الاثنا عشر– أبناء أربع زوجات، اثنتين منهن من الإماء، فولدت ليئة بـــ" رأوبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر، وزبولون"، وولدت راحيل وهي الزوجة الحرة الأخرى بـــ" يوسف عليه السلام وبنيامين"، وولدت بلهة (جارية لراحيل) بـــ" دان ونفتالي"، وولدت زلفة (جارية لليئة) بـــ" جاد وأشير".. ولا يُفرق اليهود بين الأسباط (القبائل) التي تنتسب لأبناء يعقوب أبناء الحرائر أو أبناء الجواري.. ولكنهم تعصبوا ففرقوا بين إسحاق وإسماعيل أبناء ابراهيم عليهم السلام بحجة اختلاف الأمهات في الحرية، ونسوا أنّ كلا من إسماعيل وإسحاق عليهما السلام في البنوة من إبراهيم عليه السلام سواء كما كان الأسباط آباؤهم في بنوتهم من أبيهم يعقوب سواسية كذلك.

– حظي بنو إسرائيل بمكانة مرموقة بالمجتمع المصري أيام حكم يوسف عليه السلام.. وقد تولى يوسف عليه السلام الحكم التام على مصر

	بعد موت "فرعون" لمدة ثمانية وأربعين عاماً كما جاء بالمخطوطات، ثم أعطى الحكم بعد ذلك لحفيد فرعون الذي آواه بمصر (تجاوزاً سُمّي فرعوناً بالتوراة وإلا فالأصح أنّه ملك).. ومن المعلوم أنّ سلالة الملوك الذين حكموا مصر وعاصرهم يوسف عليه السلام كانوا من الهكسوس وليس من الفراعنة، وسُمّوا بالفراعنة تجاوزاً، وقد حافظوا على علاقة جيدة ببني إسرائيل حتى انتقل الحكم منهم إلى عوائل فرعونية أخرى.. وتكاثر عدد أبناء إسرائيل كثيرا خلال هذه الفترة (سفر الخروج ١: ٧).
- بنو إسرائيل بمصر من بعد يوسف: وحدث أن تغير نظام الحكم بمصر، وجاء فراعنة خافوا على المصريين من تكاثر بني إسرائيل (سفر الخروج ١: ٨- ١٤)، فاضطهدوهم، وسخروهم للأعمال الشاقة بالحقول والبناء، وبنوا بهم مدن فيثوم ورعمسيس، ولكنّ أعداد بني إسرائيل ظلت	- أفسد فرعون مصر الذي عاصر ولادة موسى عليه السلام وطغى: " **إنّ فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبّح أبناءهم ويستحيي نساءهم، إنه كان من المفسدين**" القصص: ٤ .. من الواضح أنّ فترة معاناة بني إسرائيل تحت الاستعباد الفرعوني كانت طويلة.. وشديدة.. يصنع الفراعنة بها ما يشاؤون بالقوم المستضعفين من بني إسرائيل.. يُقتّلون أبناءهم.. ولا يملك بنو إسرائيل وسيلة لمنعهم وحماية أبنائهم أو حتى للانتقام لأبنائهم من هؤلاء المجرمين القتلة.. وبنو إسرائيل هم أبناء الأنبياء إبراهيم وإسحاق